الأصوات غير المعلولة في الدرس الصوتي الحديث

أ . م . د . محمد عبد الزهرة غافل
كلية الآداب ـ جامعة الكوفة

يعنى هذا البحث بصوتي (الواو) و(الياء) غير المديتين، وسأحاول مناقشة آراء المحدثين والمشاركة في حيرتهم فيهما، فهما من الأصوات التي يصح أن يجري عليها كل ما يجري على الأصوات الصامتة، ولكنهما تميّزا من الصوامت الأخرى في تعاملهما مع الأصوات الصائتة ، وحصل من هذا التعامل عمليات صوتية عديدة اختلف الأصواتيون فيها بل اختلفوا أيضا في اصطلاحاتهم على العملية الصوتية الواحدة وأجد من الضروري هنا استعراض بعضا مما قاله القدماء في هذين الصوتين .

وأول ما يلحظ أن علماء العربية خصوا (الواو) و(الياء) بصفة دون (الألف)، فكان الخليل يقول الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء[1] في حين اختصت صفة اللين عند سيبويه بالواو والياء، قال : ((ومنها اللينة، وهي الواو، والياء لأن مخرجهما لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما))[2]، أما الألف فقد خصه بصفة (الهاوي) لأنه ((حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف))[3].

وإطلاق الخليل صفة اللين على الألف وهي عند سيبويه صفة للواو والياء لا يعني أن هناك اختلافا بين الاثنين فالألف والواو والياء عندهما أصوات مدّ ولين، ولا يقصد فيما سبق التفريق بين ما هو معلول وما هو غير معلول، إذ ذكر سيبويه في موضع آخر أن ((هذه الحروف(الألف والواو والياء) غير مهموسات ، وهي حروف لين ومد، ومخرجها متسعة لهواء الصوت، وليس شيء من الحروف أوسع مخارج منها...))[4]، فالعلة واحدة وهي اتساع مخارج هذه الأصوات مع الفارق بينها، كون مخرج الألف أشد اتساع قياسا إلى مخرجي الواو والياء [5]. لكن الدكتور عبد الصبور شاهين يرفض رأي سيبويه ويرى أن تقصى الألف عن الواو والياء . قال: ((فلا شك أن سيبويه أخطأ في اعتبارها مثلهما، والواقع أن الفرق بينهما وبينها هو الفرق بين الحركة البسيطة ونصف الحركة الناشئ عن الحركة المزدوجة، هذه شيء وتلك شيء آخر))[6]، ولم يشر الدكتور عبد

الصبور شاهين إلى أي صوت تعود الحركة البسيطة وما المقصود بها، وبنصف الحركة الناشئ عن الحركة المزدوجة والى أي صوت تنسب، ولاسيما أن الكلام ما زال في أصوات المد (الصوائت الطويلة) التي وصفها سيبويه بحروف اللين والمد، وهكذا تعرف (الصوائت الطويلة) عند القدماء، وربما أراد عبد الصبور شاهين الإشارة إلى أن الأصل في (الواو) و(الياء) أن لا يكونا صائتين إلا بعملية عرفت عند الأصواتيين المحدثين بعملية الاتحاد ، وهو ما سيأتي عليه البحث فيما بعد.

ويقول ابن جني :((فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يتقطع الصوت عن امتداده واستطالته، واستمر الصوت ممتدا حتى ينفد ... والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف، ثم الياء، ثم الواو))[7]، يتضح من اقتران صوتي (الواو) و(الياء) بالألف في هذا النص وفي النصوص التي مرت بنا أن الحديث ما زال عن (الواو) و(الياء) المديتين، ولكن ذلك لا يعني أن علماء العربية لم يدركوا أن لصوتي (الواو) و(الياء) صفة أخرى تخرجهما من حيز الصوائت إلى حيز الصوامت، في حين لم يكن صوت (الألف) إلا صائتا ، فقد ورد عن ابن عربي قوله : ((اعلم أن المراد بالحروف الصغار الحركات الثلاثة وهي: الضمة والفتحة والكسرة ، ولهذه الحروف حالان : حال إشباع وحال غير إشباع ، فإذا اتصف واحد منها بالإشباع كان علة لوجود معلول يناسبه ، فإن أشبعت الضمة كان عنها الواو المعلولة، وإن كانت فتحة كان عنها الألف، وإن كانت كسرة كان عنها الياء المعلولة، وإنما قيدنا الواو والياء بالعلة لأنهما قد يوجدان في مقام الصحة غير موصوفين بالعلية والألف لا توجد إلا معلولة))[8]، وتقييد كل من الواو والياء بالمعلول دون الألف يجعل مصطلح (غير المعلول) لا ينصرف إلا إلى الواو والياء الاحتكاكيتين من دون الحاجة إلى ذكرهما، وهو ما دعانا إلى اختيار (الأصوات غير المعلولة) عنوانا لهذا البحث، لأنك لو قلت : الأصوات الصحيحة أو الأصوات الصامتة لشمل ذلك هذين الصوتين وغيرهما من الأصوات .

والأصوات المعلولة إذا جاء بعدها صائت قصير أو طويل صارت صوتا صحيحا، قال ابن جني : ((إن حرفي العلة : الياء والواو قد صحا في بعض المواضع للحركة بعدهما، كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما . وذلك نحو القود والحوكة والخونة والغيب والصيد وحول وروع و﴿ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾[9] فيمن قرأ كذلك فجرت الياء والواو هنا في الصحة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما، نحو القواد، والحواكة ، والخوانة ، والغياب ، والصياد ، وحويل، ورويع ، وإن بيوتنا عويرة . وكذلك ما صح من نحو قولهم : ((هيؤ الرجل من الهيأة هو جارٍ مجرى صحة هيوُءَ لو قيل . فاعرف ذلك مذهبا في صحة ما صح من هذا النحو لطيفا غريبا))[10]. وصحت العلة ، أي صار المعلول غير معلول أو صار

الصائت صامتا ، ومع التحفظ على وصف حرف اللين بالساكن، فإن هذا النص يخلو من الإشارة إلى الحركة التي تسبق حرفي العلة الواو والياء وتصيرهما إلى مثل ما صارا عليه عندما جاءت بعدهما. وهذا لا يعني إغفال القدماء ذلك، فقد أدرك علماء العربية الطبيعة المزدوجة للواو والياء[11]، يقول عبد الوهاب القرطبي : ((الواو والياء تكونان تارة من حروف المد واللين بأن تسكنا ويكون ما قبلهما منهما وتارة يتحيز مخرجهما إذا تغيرتا عن هذا الوضع بأن تسكنا وينفتح ما قبلهما، ومتى وجد ذلك زال عنهما معظم المد وبقي اللين وانبسط اللسان بهما، وصارتا بمنزلة سائر الحروف الجامدة))[12]، أي الصامتة أو الصحيحة غير المعلولة، فذكر الفتحة دون غيرها من الحركات، ويفسر ذلك بوضوح في قول الشريف الجرجاني : ((وأما الواو والياء فكل واحد منهما قد يكون مصوتا، كما عرفت، وقد يكون صامتا بأن يكون متحركا أو ساكنا ليست حركة ما قبله من جنسه))[13]، فعدم ذكر الضمة لأنها من جنس الواو، وعدم ذكر الكسرة لأنها من جنس الياء، ولذلك قيدت بالفتحة إذا كانت الحركة سابقة ولم تقيد إذا كانت لاحقة . وأما تسكين الصائت الطويل أو حرف المد والاعتقاد بأن حركة من جنسه لابد من أن تسبقه فهو أمر لا يغادره القدماء، ولعل ذلك من أبرز ما يؤاخذ عليهم في الدرس الصوتي الحديث . وإن كان قسم من اللغويين المحدثين يؤيد القدماء من حيث يدري أو لا يدري بوجود ضمة قبل الواو وكسرة قبل الياء إذا كانتا صائتين لاعتقاد هؤلاء أن الأصل في الواو والياء أن يكونا صامتين[14]، فإذا سبق كل منهما حركة من جنسه انتقل إلى صائت مزدوج من (ـُـ و) أو (ـِـ ي) إلى (ـُـو) أو (ـِـي)، في حين لا يقر هؤلاء بوجود فتحة قبل الألف لأنه عندهم صوت بسيط . وعلى هذا خطأ الدكتور عبد الصبور شاهين سيبويه ــ كما مر آنفا ــ عندما عد الألف مثل الواو والياء المديتين .

ويلحظ أنه لا مشكلة في توصيف القدماء للأصوات غير المعلولة، وإنما المشكلة في تعدد المصطلحات كالمد واللين والعلة والصحة من حيث شمولها على هذه الأصوات عند بعضهم وعدم شمولها عليها عند بعضهم.

أما مشكلة المحدثين الذين أرادوا تبسيط ما ذكره القدماء فهي أعظم سواء أكانت في التوصيف أم في الاصطلاح، فكثرة حيرتهم وتعدد آرائهم واختلاف تحليلاتهم . وتنوع اجتهاداتهم في وضع المصطلح زاد مسألة الأصوات غير المعلولة تعقيدا، وصدق من قال: ((إن هذين الصوتين قد حظيا في القديم والحديث ببحوث تتفاوت مستوى، وتختلف بالتالي نتيجة))[15].

فقد تحدث الدكتور إبراهيم أنيس عن هذه الأصوات تحت عنوان (أشباه أصوات اللين)[16]، وسمّاها الأصوات الانتقالية، فإن ((الياء صوت انتقالي، أي أنها تتكون من موضع صوت اللين (i) ثم تنتقل بسرعة إلى موضع آخر من مواضع

أصوات اللين وكذلك الواو يبدأ تكونها من موضع صوت اللين (u) ثم ينتقل اللسان بسرعة إلى موضع صوت لين آخر فكل من الياء والواو صوت انتقالي . ومن أجل هذه الطبيعة الانتقالية، ولقصرهما وقلة وضوحهما في السمع إذا قيسا بأصوات اللين، أمكن أن يعدا من الأصوات الساكنة. فالياء والواو طبيعة مزدوجة))[17]، فهي عنده إذن يمكن أن تعد من الصوامت، أما وصفها بالمزدوجة فذلك متأت من شبهها الأصوات الصائتة، وعلة هذا الشبه عنده في طبيعة تكوينها، فهو يقول :((ففي تكون (الياء) نلحظ أن اللسان يكون تقريبا في موضع النطق بصوت اللين (i)، غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i)؛ مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف. فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف، يمكن أن تعد صوتا ساكنا. أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبها بصوت اللين (i)، لهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللين . وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة (u) إلا في أن الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمة (u)؛ فيسمع للواو أيضا نوع ضعيف من الحفيف جعلها أشبه بالأصوات الساكنة. أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدها شبه صوت اللين (u)))[18].

وكلام الدكتور إبراهيم أنيس فيه إشارة إلى دراسات المستشرقين من تسمية (الواو والياء) عند بعضهم (أنصاف صوامت) أو (صوامت ضعيفة) في حين أطلق عليهما بعضهم (أنصاف مصوتات)، بسبب قرابتهما للمصوتات الضيقة : (الضمة) و (الكسرة)[19].

واختار الدكتور محمود السعران مصطلح (أشباه الصوائت) أو (الصوائت الانزلاقية) للتعبير عن الأصوات غير المعلولة، قال : ((يطلق هذا المصطلح على صوائت انزلاقية يحدث فيها أن تبدأ الأعضاء بتكوين صائت ضيق (كالكسرة مثلا) ثم تنتقل بسرعة إلى صائت آخر أشد بروزا ولا يدوم وضع الصائت الأول زمنا ملحوظا . والذي يدعو إلى إدراج هذه الأصوات تحت طبقة (الصوامت) هو ما تتميز به من انتقال سريع مع ضعف في قوة النفس (= الزفير). وفي العربية صوتان ينطبق عليهما هذا الوصف هما الواو، مرادا بها مثل واو (وجد)، والياء، مرادا بها مثل ياء (يزن)..))[20]. أما قوله : (صوائت انزلاقية) فهذا أمر سيأتي الحديث عنه فيما بعد، وأما ما يستوقف الباحث فإن هناك تناقضا في أثناء النص، ففي الوقت الذي توصف هذه الأصوات بالانتقال السريع من صائت ضيق إلى صائت آخر أشد بروزا، توصف بالانتقال السريع مع ضعف في قوة النفس، فشدة البروز لا تجتمع مع الضعف في قوة النفس أو الزفير، ولاسيما إذا اطلعنا على مفهوم البروز عنده، فالبروز هو الجهارة

((يسببه ارتباط وثيق بين طول الصوت وارتكازه ودرجته والوضوح الطبيعي للصوت مفردا. ومعنى هذا أن الصوت يكون بارزا عندما يكون أوضح وأطول وأعلى (بسبب قوة نفسية أشد) وعندما يتميز من حيث الدرجة))[21]، ولا أعتقد أن هذا الوصف ينطبق على الياء غير المعلولة أكثر من انطباقه على الكسرة، بل اعتقد أن العكس هو الصحيح، وأن ما ذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر حين بحث الموضوع تحت عنوان (أنصاف العلل) أقرب إلى الصواب، فهو يرى ((أن هناك فروقا بين الواو كنصف علة، والواو كعلة، وهو نفسه الفرق بين الياء كنصف علة والياء كعلة . وتتلخص هذه الفروق فيما يأتي :

أ ــ قلة وضوح الأولى بالنسبة للثانية .

ب ــ ضيق المجرى مع الأولى بالنسبة للثانية . ولذا فكما ألحقها بعضهم.بالعلة واعتبرها نصف علة Semi- Vowel ألحقها بعضهم بالساكن واعتبرها نصف ساكن Semi- Consmant [22].

وكان الدكتور كمال محمّد بشر قد ذكر هذه الفروق، وزاد عليها بأن الواو والياء غير المعلولتين أقصر من الحركتين المناظرتين لهما[23]، ثم وجد أن هذه الفروق أسباب صوتية نطقية وأسباب وظيفية جعلت بعضهم يرى ((أن الواو في مثل (ولد) والياء في نحو (يترك) ينبغي عدهما من الأصوات الصامتة))[24]، ويعتقد كمال بشر أن الأسباب النطقية تقربهما من الحركات، وإنما الخواص الوظيفية هي التي تؤكد أن هذين الصوتين يقومان بدور الأصوات الصامتة ويقعان موقعها تماما في التركيب الصوتي للغة العربية[25].

وانفرد الدكتور غالب المطلبي بإطلاق مصطلح (أنصاف المدّ) على الأصوات غير المعلولة، وسبب تكوينها عنده هو ((التحوير النطقي الذي يصيب صوت المد الطويل فيحوله إلى نصف مدّ))[26]، ويقول أيضا :((إن ذلك يحدث حين ينشأ في أثناء نطق صوت المد الطويل بعض الاحتكاك الذي لا يبعده عن طبيعة المدية كثيرا، ولكن يقلل من قوة الإسماع فيه ثم يجعله يسلك في التأليف الفونولوجي العربي سلوك الصوامت حسب، وهو أمر واضح في العربية، ولكننا نلاحظ بجانب ذلك أن التحوير النطقي في صوت المد الطويل هذا مصحوب بأن يفقد الصوت بعضا من كميته[27]، بمعنى آخر يفقد ميزة الطول فيه، وربما كانت تسميته بنصف المدّ Semi Vowel– متأتية من هذا الأمر))[28]، ثم يكرر قول من سبقه من الباحثين في أن الواو والياء غير المعلولتين في اللغة العربية يكونان في سياقين صوتيين . هما:

١ــ إذا جاء بعدهما بصائت من أي نوع.

٢ــ إذا كان قبلهما مباشرة صائت ليس من جنسهما، ويكون بوجه عام صائت (الفتحة)، وقد عبّر أحدهم عن الصائت بالحركة[29]، وهذا يعني ضمنا أن الواو والياء غير المعلولتين عنده (أنصاف حركات)، في حين عبر الآخر عن الصائت بصوت

مد[30]، وصرح الدكتور عبد الصبور شاهين أن أصوات المد لا تخرج من كونها حركات، ولا يجوز وصفها حروف علة، قال : ((أما الألف فليست حرف علة، بل هي فتحة طويلة، كما أن الياء المدية كسرة طويلة، والواو المدية ضمة طويلة، وقد جاء التباسهما بالواو والياء المعتلتين نتيجة التماثل في الرمز الكتابي . وعلى هذا ينبغي أن نعتبر أصوات المد حركات))[31]، أما الأصوات غير المعلولة فليست أنصاف حركات بل هي الأصوات المعلولة، يقول : ((وخلاصة القول أن ما يمكن أن يوصفه بالاعتلال في أصوات العربية اثنان هما: الواو والياء الانتقاليتان))[32]، وهذا رأي غريب لم أجد من قال به من القدماء والمحدثين، والأغرب أنه يصف كل منهما بأنه ((صوت بيني، أطلق عليه المحدثون : نصف حركة))[33]، والذي أراه أن يؤاخذ علماء العربية على عدم حسبانهم الصوائت القصيرة (الحركات) من العلل، وهو أمر تكاد تتفق عليه معظم لغات العالم[34]باستثناء اللغة العربية.

وأشار المحدثون إلى أن هناك اختلافا في صفة الصوت غير المعلول إذا ما جاء الصائت قبله أو جاء بعده، ففي الحالة الأولى يكون أقرب إلى الصوت الصائت، في حين يكون في الحالة الثانية أقرب إلى الصوت الصامت[35]، وهذا الاختلاف قد تنبه عليه علماء العربية من قبل[36]، وعلى هذا الأساس يصف الدكتور عبد الصبور شاهين الصوت غير المعلول بأنه (نصف حركة) من الناحية الصوتية، وأنه (نصف صامت) من الناحية الموقعية[37]، أي أن الواو والياء بهذه الصفة ((لهما شبه نطقي بالحركات، كما أن لهما شبها وظيفيا بالأصوات الصامتة من جهة أخرى، ولهذا يطلق عليهما العلماء ...(أنصاف الحركات – Semi Vowel وليس هناك أبدا ما يمنع من تسميتها أنصاف صوامت) ولكن المصطلح الأول أولى لشهرته في الدراسات اللغوية ، وهو أيضا ما تعارف عليه الدارسون))[38].

وبعدما تقدم من البحث اعتقد أن الأمر صار جليا في مدى تخبط المحدثين في دراسة (الأصوات غير المعلولة) من حيث تعدد المصطلح والاختلاف في دلالته من باحث إلى آخر إلى الحد الذي يجعل المتصدي لهذا الموضوع يشعر أن ما وقع فيه القدماء من الخلط أهون بكثير مما وقع فيه المحدثون، ولا يقف هذا التخبط عند تسمية هذه الأصوات وعند معرفة ماهيتها، وإنما يتعدى إلى كل التكوينات الصوتية التي تتمثل فيها الأصوات غير المعلولة أو تكون جزءا منها.

إن كثيراً من الأصواتيين العرب المحدثين قد لاحظ وجود تكوينات صوتية في اللغات الأخرى، وحاول أن يجد لها مثالا في اللغة العربية، وهذا الأمر أوقعهم في إشكالات كثيرة.

من ذلك إشكالهم في فهم مصطلح (Diphthong) أي الصائت المركب أو الصائت المزدوج، وهو ((التقاء صوتي لين أحدهما مقطعي

والآخر غير مقطعي، ينتج عادة ذلك الصوت المركب الذي يسمى (Diphthong)، وإذا كان المقطعي منهما أولا سمي (Diphthong) هابطا (Falling)...وأما إذا كان غير المقطعي هو الأول سمي (Diphthong) صاعدا (Rising) . وتشتمل اللغة العربية على النوعين . فالهابط في مثل (بَيت)، والصاعد في مثل (يُسر)...))[39]، والمقطعي هو الصائت ؛لأنه يكون قمة المقطع، وغير المقطعي هو نصف الصائت أو (الصوت غير المعلول)، ويكون قاعدة للمقطع، ولذلك عرّف الدكتور حسام سعيد النعيمي المزدوج بأنه ((تتابع صائت ونصف صائت في مقطع واحد، فإذا تقدم الصائت سُمي المزدوج هابطا. كالفتحة والياء في: لَيت / ل ـَ ي/ت ـَ/، وإذا تأخر الصائت سمي المزدوج صاعدا. كالياء والفتحة في : يَكتب:/ي ـَـــ ك/ ت ـُـــ / ب ـُـــ/..))[40]، ولم يخرج بعض الباحثين عن هذا المفهوم إلا في تسمية (الصائت) بـ (المد)[41].

ويرى طائفة من الباحثين المحدثين أن ما تقدم في تفسير مصطلح (الصائت المركب أو المزدوج) يكاد يكون تفسيرا مقبولاً[42]، في حين ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك في تفسير المصطلح ؛ لأنهم جمعوا أكثر من مفهوم للمصطلح الواحد، مثلما جمعوا فيما سبق أكثر من مصطلح للمفهوم الواحد.

ومن ذلك تفسير الدكتور محمود السعران للصوائت المركبة، فهو يقول: ((أما (الصائت المركب) فقد جرى العرف على اعتباره ارتباطا من صوتين صائتين ينطقان بحيث يكونان مقطعا واحدا لا مقطعين، وهو في واقع الأمر (صوت انزلاقي) . إنه صوت صائت يتضمن (انزلاقا) مقصودا، إذ تبدأ أعضاء النطق متخذة الوضع الخاص بصائت من الصوائت ثم تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر . ويميز (الصائت المركب) كذلك أنه يتكون من (مقطع) واحد، أي أن (الانزلاق)، أو (الانتقال)، من الصائت الأول إلى الصائت الثاني ينبغي أن يتم بدفعة واحدة من النفَس، أما إذا تم هذا (الانزلاق) بأكثر من دفعة واحدة من النفَس فإن السامع يسمع مقطعين اثنين متواليين لا مقطعا واحدا : ويسهل إدراك هذا بأن تنطق نطقا بطيئا (الصائت المركب) الانجليزي [ai] ثم تنطق الصوت الصائت [a]، ويدفعة جديدة من النفَس تتبعه بنطق الصائت [i] (دون أن تبدأ هذا الصائت بهمزة قطع وهذا أصعب على أصحاب العربية إذ لا تبدأ كلمة عربية بصوت صائت غير مسبوق بصوت صامت)، سنجد أن نطقنا لـ [ai] بدفعة واحدة من النفَس يكوّن مقطعا واحدا، وهو (صائت مركب)، أما نطقنا الصائتين بالصورة التي مثلناها فسنجد أنه يكوّن مقطعين وهو لذلك ليس (صائتا مركبا) .. وقد لوحظ أن أحد طرفي (الصائت المركب) يكون عادة أشد (بروزا) أو (جهارة) .. من الطرف الآخر . و(الصائت المركب) يسمى (هابطا) أو (نازلا) إن كان طرفه الأول أبرز أو وأشد جهارة من طرفه الثاني (أي أنه سمي كذلك باعتبار ما يصير إليه) ويسمى (صاعدا) أو (طالعا)، إن كان

طرفه الثاني أبرز أو أشد جهارة من طرفه الأول))[43].

إن الصائت المركب بحسب فهم الدكتور محمود السعران يمثل فونيما واحدا لا فونيمين، وهذا غير موجود في نظام اللغة العربية الفصحى، لأن هذا الفهم يعني إنتاج صائت طويل من نوع خاص غير الصوائت الطويلة المعروفة في العربية، وقد نجده في بعض الظواهر اللهجية كالصائت الطويل المتكون من الفتحة والكسرة والذي يمكن الرمز إليه بـ (ـَـِ) للدلالة عليه.كقولنا في كيف:/ ك ـَـِ ي/ فَ ـَـِ/ : ك ـَـِ/ ف ـَـِ/، أو الصائت الطويل المتكوّن من الفتحة والضمة ويمكن الرمز إليه بـ (ـَـُ) للدلالة عليه . كقولنا :

لَو :/ل ـَـُ و/ : / ل ـَـُ/.

واشترك مذهب الدكتور كمال محمّد بشر مع ما ذهب إليه الدكتور محمود السعران في دلالة مصطلح (Diphthong)، فهو يتهم الباحثين الآخرين بالوهم، قال : ((وقد وهم بعض الدارسين فظن أن الواو والياء في (حوض وبيت) جزءان من حركة مركبة diphthong وهو وهم خاطئ ولا شك، إذ الحركة المركبة وحدة واحدة One unit والموجود في حوض وبيت ليس وحدة واحدة وإنما هناك وحدتان مستقلتان هما الفتحة + الواو في (حوض) والفتحة + الياء في (بيت)..))[44]، وقال في موضع آخر : إن هذه الصفة الصوتية ((تتمثل أساسا في أن أعضاء النطق تبدأ في منطقة حركة من الحركات وتسير مباشرة في اتجاه حركة أخرى مكونة حركة واحدة ذات خاصية انزلاقية Glide _ avowel ...هذه الصفة الانزلاقية مفقودة في نطق الفتحة العربية متلوة بواو أو ياء ساكنة إذ يحدث في نطقها أن تنتقل أعضاء النطق من منطقة إلى أخرى محدثة نوعا من الانفصال في تحركها. فهما إذن صوتان مستقلان))[45]، ويرى أن العربية لا تشعر بأن هذا التتابع يمثل وحدة صوتية واحدة، وبعبارة أكثر دقة أنه لا يمثل فونيما واحدا، وعلة ذلك أننا في التصريف نعد هذا التتابع صوتين اثنين . الأول منهما فتحة . والثاني نصف صائت[46]، ولذلك فهو ينكر أن يكون هذا الضرب من التتابع في اللغة العربية مماثلا لذلك الضرب الموجود في لغات أخرى[47].

وكلام السعران وبشر صائب إذا كان تفسيرهما لمصطلح (Diphthong) صحيحا، ولكن يؤاخذ عليهما أن ما تكلما عليه هو مصطلح (hiatus) الذي ذكره ماريو باي وميز بينه وبين (المزدوج)، فقد قال :((اجتماع صوتي علة hiatus . ومعناه أن يتوالى صوتا علة من غير توسط ساكن، ومن غير تحويلهما إلى علة مزدوج diphthong . كما في كلمتي Noel Naive والكلمة اللاتينية habeo. وفي هذه الحلة يتطلب الموقف وقفة خفيفة Sligt Pauseof Silence (مفصل داخلي مفتوح interral open

juncture) بين العلتين لينطق كل منهما على حدة ويسبب هذا صعوبة للمتكلم الذي يجب أن يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة أخرى، ولذا سيجد من الاسهل عليه أن يحول العلة الأولى إلى صوت انحداري))[48]، وقوله : صوت انحداري أي انزلاقي (Glide).

ومما يؤاخذ عليهما أيضا، أنهما لم يميزا بين (المزدوج) و(الانزلاقي)، فالواو والياء غير المعلولتين هما من الناحية الصوتية نتيجة تتابع الحركات المختلفة، طويلة أو قصيرة . فإذا تتابعت حركتا الفتحة والكسرة نتج صوت الياء غير المعلولة، وإذا تتابعت حركتا الفتحة والضمة نتج صوت الواو غير المعلولة، أي أن الانزلاق بين الحركتين المختلفتين هو في الحقيقة ما يسمى بالياء والواو غير المعلولتين[49].

وقد أشار الدكتور إبراهيم أنيس من قبل إلى الظاهرة الانزلاقية للأصوات من دون أن يصطلح عليها، قال : ((فإذا التقى في الكلام صوتا لين، تكوّن منهما عادة صوت واحد أقل وضوحا في السمع، ويخرج بهذا عن صفات أصوات اللين فيصبح صوتا ساكنا أو شبيها بأصوات اللين . والتقاء صوتي لين ينتج لنا عادة أحد الصوتين الانتقاليين اللذين نسميهما (الواو) و(الياء)))[50]، وهذا يعني أن الانزلاق عامل من عوامل إنتاج الأصوات غير المعلولة، وأن هذه الأصوات عنصر من عناصر المزدوج، ولا يمكن أن تكوّن مع الصوائت وحدة صوتية واحدة . ومن هنا يمكن القول بأن الباحثين قد توهما عندما تحدثا عن دلالة (Diphthong)، وربما أرادا الحديث عن تركيب صوتي آخر، وهو (Hiatus) ويبدو أن الخلاف في طبيعة (المزدوج) الصوتية غير مقتصر على اللغة العربية فحسب ، فهو شائع في لغات أخرى . ويتضح ذلك من حديث الدكتور أحمد مختار عمر عن العلة المركبة، قال : ((وهي مركبة إذا انتقل اللسان أثناء النطق بها من موقع نطق علة إلى موقع نطق علة أخرى.

ولكن هل تعتبر العلة المركبة فونيما واحدا تقوم بوظيفة العلة الواحدة أو تعتبر تتابعا من العلل؟

أ ــ إذا كانت العلة المركبة تقع في مقطعين فلا يصح اعتبارها فونيما واحدا ويجب اعتبارها من تتابع العلل.

ب ــ أما إذا كانت تقع في مقطع واحد فقد اختلف العلماء في النظر إليها:

١ــ فقد اعتبرها بعضهم علة تتغير نوعيتها بشكل ملموس أثناء نطقها وتقوم بوظيفة فونيم واحد.

٢ــ واعتبرها بعض آخر تتابعا من العلل المنفصلة.

٣ــ وعدها بعض ثالث علة + نصف علة، وتقوم نصف العلة في هذه بوظيفة الصوت الساكن.

والتفسير الأول أفضل من الناحية الصوتية، وإن كان الرأي الثاني أكثر شيوعا))[51].

وعلى الرغم من اختلاف الباحثين في مفهوم (المزدوج)، لكنهم لم يختلفوا في أنه إما أن يكون صاعدا، وإما أن يكون هابطا بحسب تقدم الصوت الأكثر وضوحا أو تأخره . ومع سهولة معرفة ذلك نجد أحد الباحثين يعرفهما تعريفا ساذجا يخلو من أدنى درجات الدقة، ويفصح عن عدم دراية بالموضوع، فالمزدوج الصاعد عنده ((اجتماع مصوتين في الكلمة أحدهما قصير والآخر طويل، وهذا يولد ثقلا في النطق، فيحدث الإعلال من أجل تيسير النطق، في نحو : ييقن، فتقلب الياء واوا فتصير اللفظة : يوقن . وقد يتخلص من الازدواج بنقل الحركة إلى الحرف الذي قبل الصوت الطويل، في نحو: مقوول على زنة مفعول، وفي ذلك ثقل وتكلف على الجهاز النطقي، فعند نقل الحركة تصبح المفردة : مقول، فيكتفي بالواو، وتحذف الثانية ، والحذف هنا معروف عند علماء العربية، الخليل وسيبويه يحذفان الزائد، و الأخفش يحذف الأصل ويبقى الزائد، ويسمى هذا المزدوج: الصاعد عند المحدثين))[52]، وأما المزدوج الهابط عنده فإنه ((يراد به الحركة التي تصاحب حرف اللين، أو تسكين حرف اللين، وقبله حركة ليست من جنسه، وذلك نحو :(حيث وفوت) وأما كون الحرف اللين متحركا فنحو : (ولد)و(يلد) و(حور) و(حيوة) و(حيوان) و(رمية)..الخ، ويسمى هذا المزدوج بالهابط))[53]، وأكتفي بالعرض هنا وأترك الرد لمن يريد .

← وهناك حالتان متعلقان بالمزدوج، هما : حالتا (الانشطار) و(الاتحاد)، فقد استوحى الدكتور حسام سعيد النعيمي من حالة (الاتحاد) حالة (الانشطار)، فعرفها بقوله :((هي الحالة التي يتحول فيها الصائت الطويل إلى صائت فصير ونصف صائت وهي عكس الاتحاد، وذلك كما في انشطار الصائت الطويل من : يدعو، عند إظهار علامة النصب . إذ الفتحة صائت، وواو يدعو صائت، ولا يجوز تتابع صائتين، فينشطر الصائت الطويل إلى ضمة، وواو غير مدية تتصل بالفتحة مكونة مقطعا، أي : لَنْ/ ي ـَ د/ ع ـُ / + ـَ

انشطار← ـُ / / ـُ و /

← لنْ / ي ـَ د / ع ـُ / و ـَ /))[54].

أما حالة الاتحاد فهي ((الحالة التي يتحول فيها الصائت القصير ونصف الصائت إلى صائت طويل، وهي عكس الانشطار، وذلك كاتحاد لام يدعو مع الصائت الذي قبله مكونين صائتا طويلا، فأصل الفعل : يدعو بزنة ينصُرُ، حذفت حركة الإعراب من اللام للثقل، وأعيد تشكيل البنية المقطعية بإلحاق لام الكلمة بالمقطع السابق ثم اتحد الصائت ونصف الصائت مكونين صائتا طويلا، أي :

/ي ـــَ د / ع ـــُ /و ـــُ / بزنة ينصُرُ

← / ي ـــَ د / ع ـــُ و / بزنة ينصُرْ ساكنة للراء ، اتحاد / ـــُ و/ ـــــُ← / ي ـــَ د/ ع ـــــُ ُ //))[55].

وأول من أشار إلى حالة (الاتحاد) هو برجشتراسر، وهي عنده على نوعين، النوع الأول هو ما سبق ذكره ، إذ يقول : ((... اتحاد الواو أو الياء الساكنة، مع ضمة أو كسرة سابقة لها، فمثال الواو مع الضمة : (يوجد)، ومثال الياء مع الكسرة : (سيرة) فهاتان الحالتان بسيطتان . وأما الواو مع الكسرة، فتصير كسرة ممدودة، نحو : (ميتة) أصلها : (مؤتة) والياء مع الضمة منها ما يصير كسرة ممدودة أيضا، نحو: (بيض) جمع أبيض، أصلها : (بيض) . ومنها ما يصير ضمة ممدودة، نحو (يوبس) أصلها (ييبس) ..))[56]، وأما النوع الثاني فهو ((اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء، بالحركة التالية لها، مع حذف الواو أو الياء نفسها، مثال ذلك : (غزا)، أصلها : (غزو)، و(رمى)، أصلها : (رمي).))[57].

إن علاقة النوع الأول من حالة الاتحاد بالمزدوج واضحة، في جين لم نجد هذه العلاقة في النوع الثاني من حالة الاتحاد، ولكن يمكن أن نلحظ هذه العلاقة إذا ما ابتعدنا عن فكرة حذف الصوت غير المعلول واتحاد الفتحة مع الفتحة لتكوين الصوت المعلول، وتبنينا فكرة حذف المزدوج الذي يكون المقطع الأخير في (غزو) و(رمي) ومد الصوت بالصائت القصير قبله[58]، أي :

/ غ ـــَ/ ز ـــَ/ و ـــَ /، / و ـــــ← /

×← / ـــَ / / ـــً / / غ ـــَ / ز ـــً / .

/ ر ـــَ / م ـــَ / ي ـــَ /، / ي ـــَ← /

×← / ـــَ / / ـــً/ / رـــَ/ م ـــً /.

وهذه الفكرة تؤدي إلى توحيد القاعدة، ولو اعتمد عليها الدكتور عبد الصبور شاهين[59] لكان توجيهه واحدا في نحو : (قال) و(خاف)، وهو أفضل من أن يعتمد على توجيهين في مسألة واحدة.

لقد تبين من خلال البحث مدى الخلط الذي وقع فيه المحدثون في الأصوات التي سميناها (الأصوات غير المعلولة) من حيث الاصطلاح والتوصيف والتصنيف والتركيبات الصوتية التي تدخل في ضمنها هذه الأصوات، واستعرض البحث كثرة الإشكالات عندهم، وهم يحاولون حل المشكلات الصوتية التي أخذت على القدماء من علماء العربية.

أما اختيارنا لمصطلح (الأصوات غير المعلولة) للتعبير عن الواو والياء غير المديتين أو الاحتكاكيتين، فلكونه مأخوذا من التراث اللغوي من ناحية، ولاقتصار دلالته على هذين الصوتين فقط من ناحية أخرى.

الهوامش:

(1) ينظر : العين : ٥٨/١ و ٥٩ ، وتهذيب اللغة:٤٨/١.

(2) كتاب سيبويه ٤٣٥/٤.

(3) المصدر نفسه : ٤٣٥/٤.

(4) المصدر نفسه : ١٧٦/٤.

(5) ينظر : التعليل الصوتي عند العرب ١٦٤، وينظر :١٧٦

(6) القراءات القرآنية : ٤٠.

(7) سر صناعة الإعراب : ٨/١.

(8) الفتوحات المكية : ٢١٧/٣.

(9) الآية ١٣من سورة الأحزاب.

(10) الخصائص : ٣٢٣/٢ ، وينظر : سر صناعة الإعراب : ٢٠/١.

(11) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ١٦٤.

(12) الموضح في التجويد : ١٢١.

(13) شرح المواقف : ٢٧٢/٥

(14) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٣٩ــ ٤٨ .

(15)المصدر نفسه : ٣٩ .

(16) الأصوات اللغوية : ٤٢ ، وينظر : علم اللغة (السعران) : ١٩٧، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية : ١٦٤.

(17)الأصوات اللغوية : ٤٢ــ٤٣.

(18) المصدر نفسه : ٤٢.

(19) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٤١.

(20) علم اللغة ــ مقدمة للقارئ العربي : ١٩٧.

(21) المصدر نفسه : ٢٠٦ .

(22) دراسة الصوت اللغوي : ٣٣٠ ، وينظر: علم اللغة العام الأصوات (بشر) : ٨٤ ــ ٨٥.

(23) ينظر : علم اللغة العام الأصوات (بشر) : ٨٤.

(24) ينظر : المصدر نفسه : ٨٤ .

(25) ينظر : المصدر نفسه : ٨٤ ، ودراسة الصوت اللغوي ٣٣٠.

(26) في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٢٦ــ ٢٢٧.

(27) ينظر : المستوفي في النحو : ٥٥٧ــ ٥٥٨.

(28) في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٢٧.

(29) ينظر : علم اللغة العام ــ الأصوات : ٨٥.

(30) ينظر : في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٢٧.

(31) المنهج الصوتي للبنية العربية : ٣٢.

(32) المصدر نفسه : ٣٢ .

(33) المصدر نفسه : ٣١ .

(34) ينظر دراسة الصوت اللغوي : ١٣٥ــ ١٥٧.

(35) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: ٣١-٣٢، وفي الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٢٧ .

(36) ينظر : المنصف : ٢٢٥/٢ ، وشرح شافية ابن الحاجب : ٢١١/٢ــ ٢١٢ ، و٣٤٧/٣ــ٣٤٨ ، وفي الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية:٢٢٧ــ ٢٢٨.

(37) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية : ٣١.

(38) علم اللغة العام ــ الأصوات : ٨٦.
(39) الأصوات اللغوية : ١٦٢.
(40) أبحاث في أصوات العربية : ٨.
(41) ينظر: في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٢٨ــ ٢٢٩.
(42) ينظر : العربية الفصحى : ١٩٧ ، ودروس في علم أصوات العربية : ١٦٧ ، وأصوات اللغة:١٧٢، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث:٤٢ــ٤٨.
(43) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٢٠٣ــ ٢٠٤.
(44) علم اللغة العام ــ الأصوات : ٨٥.
(45) دراسات في علم اللغة : ٧١ــ ٧٢.
(46) ينظر : المصدر نفسه : ٧٢
(47)ينظر : المصدر نفسه :٧١ ، وفي الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية : ٢٣٠.
(48) أسس علم اللغة : ١٥٠.
(49) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية : ٣٠.
(50) الأصوات اللغوية : ١٦٢.
(51) دراسة الصوت اللغوي : ١٣٩ــ١٤٠.
(52) معجم الصوتيات : ١٨٢.
(53) المصدر نفسه : ١٨٢ــ١٨٣.
(54) أبحاث في أصوات العربية : ٨.
(55)المصدر نفسه : ٨ .
(56) التطور النحوي للغة العربية : ٤٧ ، وينظر: دروس في علم أصوات العربية : ١٣٨ ، وأبحاث في أصوات العربية : ٤٨.
(57) التطور النحوي للغة العربية : ٤٨ ، وينظر: دروس في علم أصوات العربية : ١٣٧ ، والمنهج الصوتي للبنية العربية : ٨٦ــ٨٧ ، وأبحاث في أصوات العربية : ٤٨ .
(58) ينظر: أبحاث في أصوات العربية : ٤٨ .
(59) ينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية :٨٢ــ٨٣.

المصادر والمراجع:

١ــ أبحاث في أصوات العربية ، د. حسام سعيد النعيمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ١٩٩٨م .
٢ــ أسس علم اللغة ، ماريوباي ، ترجمة : د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ط٨ ، ١٩٩٨م .
٣ــ أصوات اللغة ، د. عبد الرحمن أيوب ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، ط١/١٩٦٣م.
٤ــ الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٤ /١٩٧١م .
٥ــ التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر، نشره : د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٤/٢٠٠٣م .
٦ــ التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث ــ قراءة في كتاب سيبويه د. عادل نذير بيري الحساني، ديوان الوقف السني ــ العراق، ط١، ٢٠٠٩م .

٧ــ تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٦٤م.
٨ــ الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠م .
٩ــ دراسات في علم اللغة ، د. كمال محمد بشر، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩م .
١٠ــ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب، القاهرة ط٤/٢٠٠٦م .
١١ــ دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، ترجمة : صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس ١٩٦٦م .
١٢ــ سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤م.
١٣ــ شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرين ، مطبعة حجازي.
١٤ــ شرح المواقف ، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ط١، مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧م .
١٥ــ العربية الفصحى ، هنري فليش ، تعريب وتحقيق : د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ط١/١٩٦٦م .
١٦ــ علم اللغة العام ــ الأصوات . د.كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.
١٧ــ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د.محمود السعران ، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٨ــ العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠م.
١٩ــ الفتوحات المكية ، أبو بكر محيي الدين المعروف بابن عربي ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان.
٢٠ــ في الأصوات اللغوية ــ دراسة في أصوات المد العربية ، د. غالب فاضل المطلبي، دار الشؤون الثقافية والنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٤م.
٢١ــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣/٢٠٠٧م .
٢٢ــ كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تحقيق عبد السلام

محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، دار الرفاعي، الرياض، ط٢/١٩٨٢م .
٢٣ــ المدخل إلى علم أصوات العربية ، د. غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ٢٠٠٢م.
٢٤ــ المستوفي في النحو ، (ضمن : علي بن مسعود الفرغاني وجهوده النحوية مع تحقيق كتاب المستوفي في النحو) رسالة دكتوراه ، حسن عبد الكريم الشرع ، كلية الآداب ، جامعة بغداد١٩٧٨م .
٢٥ــ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د. عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٨م.
٢٦ــ معجم الصوتيات ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد ط١/٢٠٠٧م .
٢٧ــ المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ط١، ١٩٥٤م.
٢٨ــ المنهج الصوتي للبنية العربية ــ رؤية جديدة في الصرف العربي ، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م.
٢٩ــ الموضح في التجويد ، عبد الوهاب بن محمد القرطبي ، تحقيق : د. غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ٢٠٠٠م.

Abstract

The present paper deals with semivowels / w / and / i / which have a unique position among other sounds they show features of both vowels and consonants . These two vowels therefore are a source & much confusion for learney of English . what adds to the strangeness and difficulty of these vowley is that they behave as voiced sometimes and on voiceless other times .